

أضواء البيان

@ 505 حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الدِّسَاءِ وَالْبِدَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرْثِ . .

ثم قال : { ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهَ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْأَمَالِ } . .

وبين تعالى هذا المآب الحسن وهو في وصفه يقابل { وَالْآلُ خِرَّةٌ خَيْرٌ وَأَبْقَى } ،
فقال : { قُلْ أُوْذِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ
رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَوَاتُ الْأَعْيُنِ فِيهَا
وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } . .

تأمل هذا البديل ، ففي الدنيا ذهب وخيل ونساء والأنعام والحرث ، وقد قابل ذلك كله
بالجنة فعمت وشملت ، ولكن نص على أزواج مطهرة ليعرف الفرق بين نساء الدنيا ونساء الآخرة
، كما تقدم في { أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّيْنٍ لِّمَنْ
يَشَاءُ يَشْرَبُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ } ، { لَا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ } ، وغير ذلك مما ينص على الخيرية في الآخرة . .
ولا شك أن من أثر الآخرة غالب على من أثر الدنيا ، وظاهر عليه ، كما صرح تعالى بذلك
في قوله : { زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } . .

فمن هذا يظهر أن أسباب إثارة الناس للحياة الدنيا هو تزيينها وزخرفتها في أعينهم
بالمال والبنين والخيل والأنعام { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْبَدَائِعِ الْحَمَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا } . .

وقد سبق هذا ، لا على سبيل الإخبار بالواقع فحسب ، بل إن من ورائه ما يسمى لازم الفائدة
، وهو ذم من كان هذا حاله ، فوجب البحث عن العلاج لهذه الحالة . .

وإذا ذهبنا نتطلب العلاج فإننا في الواقع نواجه أخطر موضوع على الإنسان ، لأنه يشمل
حياته الدنيا ومآله في الآخرة ، ويتحكم في سعادته وفوزه أو شقاوته وحرمانه ، وإن أقرب

مأخذ لنا لهو هذا الموطن بالذات من هذه السورة ، وهو بضميمة ما قبلها إليها من قوله
تعالى : { سَيَذْكُرُهُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَى } ، وبعدها { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ
رَبِّهِ فَصَلَّى }